الإهداء:

إلى من فاضت روحه إلى بارئه وأنا في التّصحيحات الأخيرة لبحثي هذا،،،

إليك، يا أبت، – رحمك الله – أهدي باكورة نتاجي العلمي؛ تقديرًا ووفاءً للمعروف الذي أسديته إليّ.

ابنك / هارون

هذا الكتاب في الأصل رسالة علميَّة تقدَّم بها الباحث إلى قسم الدِّراسات العليا بكلية الدّعوة الإسلاميّة في طرابلس / ليبيا؛ لنيل درجة التخصص العالي(الماجستير) في اللُّغة العربيَّة وآدابها، الدِّراسات اللّغوية، وشُكِّلت لجنة المناقشة بناءً على قرار عميد كلية الدّعوة الإسلامية رقم(21) الصادر بتاريخ 2009/05/20م، والقاضي بتشكيل لجنة المناقشة.

وقد تمَّت المناقشة علناً، يوم الأحد 24 /05/ 2009م، على تمام السَّاعة الحادية عشرة صباحاً، بمدرج الدكتور أحمد الخليفي في مبنى الكلية.

أهمّ الرّموز الواردة في الكتاب:

ت = توفي

تح: تحقيق

تر: ترجمة

تصـ: تصحيح

تع: تعليق

ص: صفحة

ط: طبعة.

ع: العدد

و.ر: وفاة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم.

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم
المقّدمة

فسبحان اللّه حين تمسون وحين تصبحون. وله الحمد في السّموات والأرض وعشيًّا وحين تظهرون. والصّلاة والسّلام الدّائمان على المبعوث رحمةً للعالمين، نبيّنا محمّد وعلى آله الطّاهرين وصحابته الغرّ الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين. أما بعد:

فقد شهدت الدراسات اللّغويّة الغربيّة منذ مطلع القرن التّاسع عشر تطوّرًا ملموسًا، إلى أن أصبحت محل اهتمام الباحثين اللّغويّين وغير اللّغويّين. وانبعثت من هذا التّطوّر نهضة علميّة لا تزال آثارها ممتدة ومتدفقة حتى أيّامنا هذه. وهذه الدّراسات التي عرفت بـLinguistique، والتيترجمت إلى العربيّة بـ ((اللّسانيات)) و((الألسنيّة)) و((علم اللّغة الحديث)) وغيرها ممّا وُضِع مقابلاً لهذا المصطلح الأجنبيّ، استعانتْ بالعلوم الأخرى، وإن كان بعضُ هذه العلوم يبدو بعيدًا عن مجال اللّغة، كما استفادتْ منها بعض العلوم في معالجة قضاياها المتعلّقة باللّغة والظّواهر الاجتماعيّة المتنوّعة.

ومع ظهور فردينان دي سوسيرFerdinand de Saussure،أصبحت اللّسانيات واضحة الحدود والمعالم من حيث الاختصاص، وبرزت على أنّها علم مستقلّ يتمثّل في علم الأصوات والصّرف والنّحو والمعجم والدّلالة؛ ومن حيث المناهج، بأن استقلّ كلّ من المنهج التاريخي والمنهج المقارن والمنهج الوصفيّ، وإن بقيتْ هناك صلة تربط بين هذه المناهج أثناء التّطبيق.

ولمّا دخلتْ هذه المناهج الحديثة الدّرس اللّغويّ العربيّ، لاسيّما المنهج الوصفيّ منها بنظريّاته المتنوّعة، منذ الأربعينيّات من القرن العشرين، نتيجة البعثات العلميّة، فقد حدث تغييرٌ جوهريٌّ في التّفكير اللّغويّ العربيّ، حيث دعا المتبنّون لهذا المنهج إلى إعادة قراءة التّراث اللّغويّ على ضوء نظريّاته العلميّة، إمّا لغرض توظيف معطيات هذه النّظريات في نقد التّراث اللّغويّ، وإمّا لغرض توظيفها في إعادة وصف هذا التّراث لسانيًّا، بزعم أنّ الدّرس اللّغويّ القديم لم يُبن على أسس سليمة من النّاحيّة العلميّة واللّغويّة، وإمّا لتأصيل هذه النّظريّات في التّراث لإبراز الجوانب المشرقة فيه.

وقد وقف إزاء هذه الدّعوة وهذه المحاولة، فريق محافظ يحذّر من خطورتها، حيث لا يرى فيها إلاّ نسفًا للتّراث وكفرانًا بجهود اللّغويّين المتقدّمين وقتلاً للّغة العربيّة، بينما اتّخذ فريق آخرموقفًا وسطًا يحاول الجمع والتّوفيق بين المناهج الحديثة والقديمة، والاستفادة من كلتيهما للنّهوض بالدّرس اللّغويّ ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً.

وقد تجلّت لنا هذه المشكلة من خلال قراءتنا المتواضعة، حين لاحظنا أنّ النّزعة الوصفيّة قادت بعض الباحثين العرب إلى أن ينحوا منحًى جديدًا في معالجة القضايا اللّغويّة، والنّحويّة منها بصفة خاصّة منهجا وأسلوبًا. ومنذ ذلك الحين، أصبح البحث عن هذا الاتّجاه الحديث في دراسة النّحو، وعن رواده البارزين، إضافةً إلى تناول نتاجه العلمي بالبحث والتّنقيب، أصبح البحث عن هذه كلّها قضايا بحثيّة تراودنا، حيث ارتأيناها في آخر المطاف موضوعًا خصبًا جديرًا بالدّراسة والبحث، فعقدنا العزم على أن نمضي قُدُمًا فيه مستعينًا بالله عزّ وجلّ، وهو المسؤول أوّلا وآخرًا التّوفيق والسّداد.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الاتّجاه الوصفيّ الذي تتبّعنا نتاجه بالدّراسة والتّمحيص يختلف جوهريًّا عن اتّجاه تجديد النّحو وتيسيره؛ ذلك أنّ الوصفيّين العرب ينطلقون في أعمالهم من نظريّات غربيّة لا عهد بمعظم دعاة التّجديد والتّيسير بها. وإذا كانت الدّعوة إلى تبنّي المنهج الوصفيّ في دراسة النّحو تجديدًا، فإنّ أصحابها ليسوا بمبتدعين في هذه الدّعوة، إذ نجد من قبلهم من نادى بتجديد النّحو من لدن ابن مضاء القرطبيّ إلى ما قبل امتداد اللّسانيات الوصفيّة إلى الوطن العربيّ بزمن يسير؛ بل ظلّ اتّجاه التّجديد والتّيسير يتّسم بمزيد من الحيويّة والنّشاط حتّى إثر وصول اللّسانيات إلى الوطن العربيّ. زد على ذلك أنّ نقد النّحو العربيّ لم يبدأ بالوصفيّين العرب ولم ينته بهم، فقد نال النّحوَ العربيَّ شيءٌ من النّقد في قديم الزّمان على يد ابن مضاء القرطبي، وفي العصر الحديث على يد كلّ من دعاة التّجديد والتّيسير والوصفيّين والتّوليديّين، وإن كانت حدّة النّقد تتفاوت لاختلاف المبادئ المنهجيّة التي ارتضاها كلّ فريق من هؤلاء الباحثين.

وتبرز أهميّة الموضوعفي أنّ اللّسانيات بوصفها منهجًا علميًّا لدراسة اللّغة، صارت مرتعًا علميّا لا ينقطع عن ارتياده كلّ باحث لغوي جعل مواكبة العصر شعاره ومتابعة البحوث

اللّغويّة المعاصرة ديدنه؛ إذ كادت النّظريّات اللّسانيات تغزو السّاحة اللّغويّة على سعة مساحاتها بحيث لم يسلم منها إلاّ من ظلّ متقوقعًا في التّراث من أجل أنّه تراث، معرضًا عن كلّ جديد، على الرّغم من أنّ تجديد التّراث وتفعيله لا يقلّ أهميّةً عن المحافظة عليه.

وإذا كان هذا الموضوع يجمع بطبيعته، بين الأصالة اللّغويّة المتمثّلة في النّحو القديم والمعاصرة التي تتجسّد في النّتاج الوصفيّ، فإنّه . بلا شكّ . يوفّر لنا فرصة ثمينة للاحتكاكبالموروثالنّحويّ والمشروع الوصفيّ في آن واحد. وزيادة على ذلك، فإنّه لا ينبغي لطالب أو باحث في الدّراسات اللّغويّة العربيّة في عصرنا الرّاهن، بغضّ النّظر عن موقفه من تطعيم النّحو بالنّظريات الغربيّة، أن يظلّ جاهلاً بما أثاره هؤلاء الوصفيّون العرب من نقد ونقض وتعديلات واقتراحات في حقّ النّحو القديم، سواء ما كان له صلة بأصول هذا النّحو أم بمسائله الفرعيّة.

وإذا كانت اللّسانيات أثرت . باعتبارها أولّ علم من العلوم الإنسانيّة خطا نحو العلميّة الصّارمة . في بقيّة العلوم الإنسانيّة من الأدب والنّقد الأدبيّ وغيرهما،[1]فإنّه من شأن هذا البحث أن يفتح آفاقًا علميّة واسعةً أمامنا للخوض مستقبلاً، في أعماق البحوث اللّسانيّة وأبعادها الفلسفيّة والمنهجيّة وانعكاساتها على الفكر المعاصر.

على أنّ ثمة بواعث دفعت بنا إلى اختيار هذا الموضوع،وفي مقدّمة هذه البواعث التي تعدّ بحقّ الأسباب الكامنة وراء هذا الاختيار، رغبتنا الأكيدة في الوقوف على الفكر اللّغويّ العربيّ الحديث، ومحاولة الإلمام به والكشف عن حقيقته وطبيعة مناهجه وبخاصّة المنهج الوصفيّ منه الذي ظلّ ولا يزال الشّغلَ الشّاغل للّغويّين العرب قبولاً وتأييدًا أو رفضًا واعتراضًا. وعمل على تعضيد هذا الباعث، شعورُنا بتبعيّة اللّسانيّات العربيّة الحديثة، ما هيّج فينا الرّغبة في الوقوف على المناهج اللّسانيّة الغربيّة التي تعدّ المنهل الأساس الذي اغترف منه الفكر اللّغويّ العربيّ الحديث ولا يزال؛ علّنانتغذّى من ذلك ما يؤهّلنا للإسهام في المشاريع

(1) . ينظر: مدخل للسانيات دي سوسير، حنون مبارك، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء . المغرب، ط: 1، 1987، ص: 5؛ والتّفكير اللّسانيّ في الحضارة العربيّة، عبد السّلام المسدّي، الدّار العربيّة للكتاب، ليبيا . تونس، 1981م، ص: 9.11.

اللّغويّة العربيّة وغير العربيّة، لاسيّما أنّ لغتنا الأمّ [1]لا تزال ميدانًا بكرًا يحتاج إلى من يكشف عن خصائصه وأنظمته بطرق علميّة. ودفع بناأيضا إلى اختيار هذا الموضوع ما نلاحظه من عظيم التّأثير من طرف الوصفيّين العرب في الدّراسات اللّغويّة العربيّة، لاسيّما أنّ هذا التأثير بلغ حدًّا لا يمكن تجاهله فضلاً عن إنكاره، سواء أكان المتلقي من مؤيدي منحى هذا الاتّجاه في البحث اللّغويّ أم من منتقديه.

وبما أنّ المنهجيّة العلميّة تقتضي وضع إطار محدّد لكلّ بحث علميّ، فإنّ لهذا البحث حدودا يقف عندها، إذ يدور في فلك المنهج الوصفيّ الغربيّ بمبادئه ونظريّاته وكبرى منعطفاته، باعتباره مقدّمة وتمهيدًا إلى واجهته العربيّة، وهي الواجهة التي يُعنى بها هذا البحث فيالمقام الأوّل، ما جعل مباحثه تدور حولها بتناول أبرز روّادها بالدّراسة؛ للوقوف على دورهم الرّائد في ترويج المنهج الوصفيّ وتنظيره في الوطن العربيّ؛ إضافةً إلى محاولة تقويميّة لما خلفه هؤلاء الرّواد من نتاج علميّ في ضوء مبادئ منهجهم الوصفيّ التّقريريّ وفي ضوء منهج تشومسكي الوصفيّ التّفسيريّ.

وثمة أسئلة أوليّة ظلت عالقة بذهننا، فسعينا للإجابة عنها من خلال هذه الدّراسة، ويمكن توزيع هذه الأسئلة على عدد من الاستفهامات والتّساؤلات، ومن أهمّها: متى نشأ التّفكير اللّغويّ العربيّ الحديث؟ وكيف كانت نشأته، وبخاصّة الاتّجاه الوصفيّ منه؟ وما هي منطلقاته وآلياته؟ وما هي بداية الفترة الزّمنيّة التي يوصف نتاجها اللّغويّ بهذا المصطلح؟ وما أهمّ ما امتاز به عن التّفكير اللّغويّ القديم من سمات؟ وما مكانته العلميّة في الفكر اللّغويّ العربيّ بعامّة؟ وما هو موقف القرّاء وبخاصّة المتخصّصين منهم في مجال اللّغة؟

أمّا المنهج المتّبع في البحث،فهو المنهج الوصفيّ التّحليليّ؛ لملاءمته وطبيعة البحث؛ ذلك أنّ البحث يدور حول نتاج لغويّ أفرزه منهج لغويّ يُعرف بالمنهج الوصفيّ التّقريريّ؛ فكان من المناسب عند تناول هذا النّتاج اللّغويّ بالدّراسة والتّحليل توظيف ما يقاربه من مناهج

(1) .هي لغة موري، وهي من أكثر اللّغات انتشارًا في بوركينا فاسو، وكتب بعض أبنائها بحوثا علمية عنها، لكنّها في حاجة إلى مزيد من الأبحاث والدراسات.

البحث العلميّ، ما جعلنانعوِّل على المنهج الوصفيّ التّحليلي لاقتناعنا بأنّه أقرب هذه المناهج إلى المنهج الوصفيّ التّقريري في اللّغة؛ فجاءت الدّراسة في أغلبها عرضًا وتقويمًا لمنهج في ضوء منهج مشابه له تفاديًّا للإجحاف قدر الإمكان في حق المنهج المعروض والمستهدف بالتّقويم.

هذا، وقد جاءت هوامش البحث توثيقًا لما ورد في البحث من معلومات أو تحديدًا لما جاء فيه من مصطلحات رئيسة، أو ترجمة لعلم من الأعلام الواردة فيه، أو تعليقًا. ففي التّوثيق، نسرد معلومات النشر كاملة للكتاب عند ذكره للمرة الأولى، ثم نكتفي بعد ذلك بذكر عنوان الكتاب واسم مؤلفه، من دون أن نعقب ذلك بـ ((مصدر سابق))؛ لما في ذلك من تكرار ثقيل على البحث. فأيّ كتاب يجده القارئ في هذا البحث بدون معلومات النشر وبدون تعليق يفيد أن معلومات النشر غير متوفرة، يعنى أن هذا الكتاب سبق ذكره، ويمكن، بكلّ سهولة، الوقوف على المعلومات المتعلقة بنشره في فهرس المصادر. وحرصنا كذلك على تجنب المصادر الوسيطة إلاّ عند الضرورة.

وعن تحديد المصطلحات، فإنّنا عمدنا إلى توضيح ما نرى أنّ فهم البحث يتوقف على فهمه؛ نظرًا لما للمصطلحات من أهميّة ودور في تقريب المفاهيم، كما أنّنا ترجمنا للأعلام الواردة في صلب البحث كلّما توفّرت المعلومات الكافيّة للتّرجمة، وبالتّحديد أولئك الأعلام الذين تبوءوا مكانةً متميّزةً في هذه الدّراسة باهتماماتهم وتوجّهاتهم العلميّة، وبما قاموا به من دور في بناء صرح اللّسانيّات ونشرها في الغرب أو في الوطن العربيّ.

وفيما يخصّ الدّراسات السّابقة، فلم نعثر، خلال اطّلاعنا المتواضع، على بحث أكاديميّ أو علميّ مستقلّ يعالج هذا الموضوع وفقًا للخطة التي ارتسمناها للسّير عليها، على أنّ ذلك لا يعني أن البحث انطلق من فراغ علميّ ومن خيالنا، بل إنّه مدين لجملة من أعمال علميّة جليلة القدر موزّعة بين كتاب ودراسة علميّة، ومن الأعمال العلميّة التي لها صلة بالموضوع ما يأتي:

1. العربيّة وعلم اللّغة البنيويّ ((دراسة في الفكر اللّغويّ العربيّ الحديث)) للدكتور حلمى خليل. ويحوي هذا الكتاب في طيّاته مادّة علميّة غزيرة، وله فضل كبير على هذا البحث

لاسيّما فيما يخصّ المراحل التي مرّ بها التّفكير اللّغويّ العربيّ الحديث، حيث اعتمدنا عليه في تأريخنا الحركة اللّغويّة الحديثة في الوطن العربيّ؛ لما امتاز به من وفرة المعلومات ودقّة العرض، بل نعتبر هذا الكتاب. في حدود اطلاعنا المتواضع. من أحسن ما أرّخ للفكر اللّغويّ العربيّ الحديث.

ويعدّ هذا الكتاب من أوائل الكتب التي تناولت أعمال الوصفيّين العرب بالدّراسة والتّحليل والنّقد، والتزم فيه المؤلّف بالموضوعيّة والحيدة، واستطاع أن يبرز للقارئ الأفكار الجوهريّة للوصفيّين العرب بشكل مختصر. وبما أنّ هذا الكتاب كان يُعنى في الدّرجة الأولى بتسليط الضّوء على معالم الوصفيّة العربيّة وآرائها المحوريّة عن مستويات التّحليل اللّغويّ أو أنظمة اللّغة كافّة، رأينا أن نركّز عنايتنا على النّظام النّحوي، علّ ذلك يعيننا على تفصيل ما أجمله حلمى خليل.

2. المنوال النّحويّ العربيّ ((قراءة لسانيّة جديدة))، للدّكتور عزّ الدين مجدوب، والكتاب في الأصل أطروحة نال بها صاحبها درجة التّخصص الدّقيق ((الدّكتوراه))، وهو كتاب نفيس ورائع، حاول فيه صاحبه تقويم أبرز الجهود العلميّة التي تناولت مسائل النّحو العربيّ بالنّقد والنّقض. ويتميّز هذا الكتاب بشموليّته في العرض والتّقويم، إذ تعرض لجهود دعاة التّيسير والتّجديد من أمثال إبراهيم مصطفى ومهدي المخزومي، كما تعرض لأعمال إبراهيم أنيس بجانب أعمال تمّام حسّان وعبد الرّحمن أيّوب بشيء من التّفصيل والتّحليل الدّقيق الذي ينمّ عن سعة اطلاعه وتمكنّه من اللّسانيات. وكان تقويمه هذا في معظمه يستند إلى نظرية هيلمسيفالغلوسيماطيقيّةGlossematique.[1]على أنّه لم يتطرق لرائدين من رواد الحركة اللّغويّة الوصفيّة في الوطن العربيّ، وهما محمود السّعران وكمال بشر، ما فسح مجالاً لتناول نتاجهما بالدّراسة والتّحليل في هذا البحث.

(1). مصطلح أطلقه هيلمسيف على نظريته اللّغويّة، ويعني اللّسانيّة في اللغة الدّانماركية. ينظر: علم اللغة، دانييل مانيس، تر: سهيل عثمان وعبد الرزاق الأصفر، مجلّة الموقف الأدبي، مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحادالكتاب العرب بدمشق – ع: 135 و136 تموزوآب1982، ص: 215.

وممّا يؤاخَذ به صاحب المنوال، هو تصدّيه بشيء من التكلّف تارة، في بعض مواضع كتابه، للانتقادات الموجّهة للتّراث النّحويّ، دفاعًا عن التّراث وتبريرًا لقضاياه المتشعبة؛ إذ ظلّ يرجّح موقف النّحاة على موقف غيرهم في أغلب القضايا التي تعرض لها، إلى أن وصل إلى نتيجة مفادها أنّ وصف النّحاة للعربية وصف يلائم بنية اللّغة العربيّة، بما فيها التّقسيم الثّلاثي للكلم.

3. نشأة الدّرس اللّسانيّ العربيّ الحديث ((دراسة في النّشاط اللّساني الحديث))، للدّكتورة فاطمة الهاشمي بكوش، وهو في الأصل رسالة علميّة أشرف عليها د. محمّد حسين آل ياسين. وحاولت الباحثة أن تسهم في تأريخ الفكر اللّسانيّ العربيّ بنظرة مغايرة للمحاولات السابقة، بأن زعمت أنّ خطاب اللّسانيات الوصفيّة العربيّة خطاب موحّد ومنسجم لا يعرف الاتّجاهات التي ذكرها حلمى خليل، كما أنّها عرضت بعد ذلك أعمال الوصفيّين من نقد للتّراث ودعوة إلى تبني منهج حديث، مع عرض موجز لأسس هذا المنهج.

والمطّلع على هذا الكتاب يكشف عن الجهد الكبير الذي بذلته الباحثة في لمّ شتات بحثها، لكنّه يؤخذ عليها بأنّها كثيرًا ما تكتفي بالعرض الموجز لنتاج الوصفيّين من دون أن تعقبه بالتقويم الكاشف عن مواطن قوّة هذا النّتاج ومواطن ضعفه. ومع وجود هذا الكتاب الرّائع فإنّ لهذا البحث ما يبرره؛ ذلك أنّ الباحثة عرضت نتاج الرواد الوصفيّين عرضًا إجماليًّا مقتضبًا من دون التّركيز على أحد مستويات التّحليل اللّغوي، في حين أنّ اهتمام هذا البحث منصب على مستوى التّحليل النّحويّ، ما مكّنه من تفصيل ما أجملته فاطمة الهاشمي بكوش.

4. منهج دراسة اللّغة عند تمّام حسّان، رسالة أعدّها محمود فتح الله أحمد الماجري لنيل درجة التّخصص العالي ((الماجستير)) في جامعة الفاتح، وبذل فيها صاحبها من الجهد ما يستحق الثّناء، وخير شاهد على ذلك هو مراسلاته المتكررة للشّخصية التي عُنيت بها الرّسالة. وكان من ثمار هذه المراسلات أن زوده تمام حسان نفسه بسيرته الذّاتية مكتوبةً بخط يده وشيئا كثيرا من بحوثه العلميّة.

وتناولت هذه الرّسالة كتب تمام حسان بالعرض والدّراسة والتّحليل للوقوف على منهجه في البحث اللّغويّ على تنوّع مستوياته التّحليليّة. ومع ما اتّسمت به الرّسالة من

شموليّة التّناول والموضوعيّة والوضوح في العرض، فإنّه يؤخذ عليها بأنّها تكاد تخلو من أيّة محاولة تهدف تقويم أعمال تمام حسان إذا ما استثنينا تلك الآراء المبثوثة التي يخالف بها محمود فتح الله تمامَ حسانٍ.

ومهما يكن من أمر، فإنّ الرّسالة المذكورة لا تغني عن هذه الدّراسة؛ لانحصارها في رائد واحد فقط من رواد الحركة اللّغويّة الوصفيّة في الوطن العربيّ، في حين أن هذه الدّراسة تحاول لمّ شتات ما قدّمه رواد هذه الحركة من أعمال نحويّة، مع محاولة متواضعة لتقويمها وتقييمها.

وعلى الرّغم من القيمة العلميّة لهذه الدّراسات التي يدين لها هذا البحث في كثير من جوانبه، فإنّ ثمة مبرّرًا يثبت له شرعيّته العلميّة، وهو أنّ بعضًا من روّاد الوصفيّة العربيّة وطلابّهم واصلوا في إصدار أعمال علميّة متلاحقة بعد هذه الدّراسات التّقويميّة والتّقييميّة، ومن أهمّها: روائع البيان والخلاصة النّحويّة لتمّام حسّان، والتّفكير اللّغويّ بين القديم والحديث لكمال بشر.

وبما أنّ هذه الكتب لم تحظ بأن تُتناوَل بدراسة علميّة. في حدود علمنا. فإنّ ما تناوله هذا البحث عن كتاب ((الخلاصة النّحويّة)) لتمّام حسّان من محاولة التّقويم يعتبر. على استحياء. إضافة متواضعة في حدود مقدور الباحث المبتدئ.

أمّا المشكلات التي واجهتنا في هذا العمل، فتتمثّل في ندرة بعض المصادر الرّئيسة للبحث، ومن هذه المصادر النّادرة مؤلّفات عبد الرّحمن أيّوب، وفي صدارتها كتابه ((دراسات نقديّة في النّحو العربيّ)) الذي لم نحصل عليه إلاّ بعد مضي سنة كاملة أو يزيد من تاريخ اعتماد الخطة.

ومنها أيضًا مؤلّفات كمال بشر التي لم نعثر عليها إلاّ في آخر أيام البحث، هذا فضلاً عن تعذر الوصول إلى كتابات بعض طلابهم التي تعدّ امتدادًا لفكر الأساتذة الرّواد، ككتابات محمّد عبد اللّطيف حماسة، وفاضل السّاقي.

وفيما يخص إشكاليات البحث، وثمة فرق بين المشكلة والإشكاليّة[1] فإنّها تتجسّد في وفرة المادّة العلميّة المتشعّبة التي تصل حدّ التّناقض والتّضارب أحيانًا، بحيث يتطلب ترجيح رأي على آخر إلى تجربة بحثية طويلة نادرًا ما يمتلكها طالب في مرحلة الماجستير؛ومع ذلكفإنّنا حاولنا مغامرين ترجيح ما اتّضح لنا رجحانه حاليًا، على أنّ تمادينا على التّمسك بهذه التّرجيحات أو تراجعنا عنها رهين بتجاربنا العلمية القادمة.

أمّا عن هيكليّة البحث،فإنّ هذا البحث مبنيّ على هيكليّة ضمّت ثلاثة فصول مستهلّة بمقدّمة ومختتمة بخاتمة أو ما يعرف في لغة البحث العلميّ بنتائج البحث أو استنتاجاته. ففي المقدّمة التي هي هذه، ذكر لأهمّ الأسباب التي حدت بنا إلى اختيار هذا الموضوع موضوعًا للبحث، وسرد لأهمّيته وما يسعى إلى الإجابة عنه من الأسئلة، مع رسم حدود البحث وعرض تقويميّ مختصر للدّراسات السّابقة.

وفي الفصل الأوّل الذي عنونّاه بـ ((المنهج الوصفيّ في التّفكير اللّغويّ العربيّ الحديث)) مبحثان؛ يتناول أوّلهما المسار التّاريخيّ للتّفكير اللّغويّ العربيّ الحديث، وذلك بالوقوف على مفهوم هذا اللّون من التّفكير، وعلى نشأته وأصوله الفكريّة والفلسفية وما يعترضه من معوّقات.

ويدور الحديث في ثانيهما حول المنهج الوصفيّ في إطاره النّظريّ، فَتَعَرض لمفهوم الوصفيّة وأسسها اللّغويّة، وللمنعطفات التّاريخيّة الكبرى التي مرّ بها هذا المنهج، ولما بينه وبين المناهج اللّغويّة الأخرى من فروق، مع إبراز مثالبه في رؤية منتقديه ومكانته العلميّة في الدّرس اللّغويّ الحديث، والوقوف على ملامحه في التّراث اللّغويّ العربيّ؛ بالإضافة إلى

(1) . تتميّز المشكلة بأنّ لها حلاً نهائيًا، فتنتهي بمجرد الوصول إلى هذا الحلّ، أمّا الإشكاليّة، فإنّها تعددّ الحلول إلى درجة يتحير معها المعنيّ في انتقاء أنسبها، وبمعنى آخر، فإنّها تعني الاحتمال. ينظر: العولمة ومسألة الهوية: المشكلة والإشكالية، محمّد عابد الجابري www.aljabriabed.net/glob_identite1.htm؛ وحول النص وإشكالية الفهم من خلال قراءة الكتاب الأخضر، مهدي امبيرش، منسق شعبة التثقيف والإعلام والتعبئة بمكتب الاتصال باللجان الثورية، ص: 3.

التّعريف برواد الوصفيّة العربيّة واستجلاء ما أدّاه كلّ منهم من دور في ترويج المنهج الوصفيّ وتنظيره.

ويتألف الفصل الثّاني الذي عنونّاه بـ ((النّحو العربيّ في المنظور الوصفيّ)) من مبحثين اثنين، يتناول أوّلهما منهج النّحو العربيّ في المنظور الوصفيّ، واقتضى ذلك الوقوف على مفهوم النّحو بين النّحاة المتقدّمين والوصفيّين العرب، وعلى موقف هؤلاء الوصفيّين من الأصول التي شيّد عليها النّحاة نحوهم، بالإضافة إلى موقفهم من الآليات التي وظّفها النّحاة لتفسير مختلف الظّواهر اللّغويّة. وفي ختام هذا المبحث محاولة للوقوف على منهج النّحو من حيث تبعيته واستقلاليّته وعلى طبيعته.

أمّا المبحث الثّاني من هذا الفصل، ففي فحواه عرض لما طرحه الوصفيّون من انتقادات وتعديلات وتقويمات في حقّ التراث النّحويّ في ضوء معطيات اللّسانيات الوصفيّة، على أنّ هذاالعرض يرتكز على كبرى المسائل النّحويّة كالشّاهد النّحويّ ومقولة الإعراب والتّقسيم الثّلاثي للكلم والفعل والقضايا المتعلّقة بالجملة.

وأمّا الفصل الثّالث المعنون بـ ((التّحليل الوصفيّ للنّظام النّحويّ: عرض وتقويم))، فيتكّون هو الآخر من مبحثين، ويعرض أوّلهما أهمّ المحاولات الرّائدة التي استهدفت إعادة تحليل النّحو العربيّ وصفيًّا، وجاء في ثناياه التّعريف بالنّحو الوصفيّ وأصوله وعناصره، مع عرض موجز لما قدّمه كلّ من تمّام حسّان ومحمود السّعران من التّحليلات الوصفيّة لمادة التّراث النّحويّ.

وفي المبحث الثّاني، حاولناتقويم ما قدّمه المشروع الوصفيّ مع التّركيز على محاولات تمّام حسّان؛ باعتباره الوصفيّ الوحيد الذي حاول إعادة صياغة التّراث النّحويّ وترتيبه. في حدود علمنا، فعرضنا تصوّره للبنية النّحويّة أوّلاً، لننتقل من هذا العرض إلى تقويم أعمال هؤلاء الوصفيّين بعامّة وتمّام حسّان بخاصة من النّاحيّة المنهجيّة، ومن ناحيّة المادّة العلميّة آخرًا. وبالنّسبة للخاتمة، فإنّها حوت أهمّ ما توصلنا إليه ممّا يمكن اعتباره نتائج البحث، بالإضافة إلى شيء يسير من الاقتراحات.

وحاولناأن تكون فصول هذه الدّراسة ومباحثها متوازنة، وإن ظهر للقارئ ما يخالف ذلك، فإنّ ذلك لم يغب عنّا، لكنّنا رأينا ألاّ نرضي الشكل على حساب المضمون والانسجام المنطقي.

ورأينا أنّه من المناسب، بل من الضّروري إماطة اللّثام عن عنصرين من أهمّ عناصر موضوع هذا البحث، ((الاتّجاه الوصفيّ في التّفكير اللّغويّ العربيّ الحديث "دراسة وصفيّة تحليليّة" في النّظام النّحويّ))، على أن يتكفل الفصل الأوّل ببيان ما تبقى من هذه العناصر.وأوّل العنصرين هو لفظ ((الاتجاه)) الذي يقع في صدر الموضوع والذي نلمح به إلى أنّ المنهج الوصفيّ التّقريري وفد إلى الوطن العربيّ في شكل اتّجاه، ذلك أنّك لا تكاد تظفر بوصفيّ عربيّ إلاّ وهو متعدّد الروافد، بحيث لا يغلق على نفسه أبواب النّظريات الوصفيّة الأخرى؛ لكنّ الغلبة تكتب عند كل منهم لنظرية معينة دون أخرى، فيشتهر بها.

أمّا العنصر الثّاني، فهو لفظ ((النّظام))، وهو من استعمالات الرّواد الوصفيّين العرب، وبخاصة تمّام حسّان، واستعمله من قبلُ فردينان دي سوسير واللغويّون الذين ساروا على دربه، ويعني به هؤلاء الرّواد في بحوثهم بنية اللّغة أي مستويات التّحليل اللّغويّ، وتتمثّل أنظمة اللّغة بهذا الفهم في النّظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام النحوي والمعجم، وهي كلّها أنظمة متماسكة. واستقوا هذا المصطلح من أستاذهم فيرث الذي حاول جاهدًا ضبط مفهوم ((النظام))؛ فتوصل إلى " أنّ معنى كلّ نظام تحدده العلاقات بين العناصر التي يتكون منها النظام ".[1] على أنّ هذه الأنظمة اللّغويّة كلّها متصل بعضها ببعض اتّصالاً وثيقًا بحيث لا يمكن الفصل بينها عند الأداء الفعلي للكلام، لكنّ الباحثين في مجال اللّغة يفصلون بينها لغرض الدّراسة والتّحليل، لا أكثر.

وإذ نختتم هذه المقدّمة، فإنّ مبدأ الوفاء يدفعنا ـ بعد شكر الله عزّ وجلّ على نعمه السّابغة ـ إلى أن نسدي جزيل الشّكر ووافر الامتنان إلى أولي الفضل والسّعة علينا؛ عملا بقوله

(1). علم اللّغة النّظاميّ ((مدخل إلى النّظريّة اللّغويّة عند هاليداي))، محمود أحمد نحلة، ملتقى الفكر، ط: 2، 1422 هـ. 2001م، ص: 20.

تعالى ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1] وامتثالاً لقول رسولنا الكريم محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم ((من لم يشكر النّاس لم يشكر الله)).[2] وفي مقدّمتهم، جمعيّة الدّعوة الإسلاميّة العالميّة التي كان لها الفضل بعد الله عزّ وجلّ في تمكيننا من متابعة دراستنا الجامعيّة ومرحلة الماجستير في جناحها الأكاديمي، كليّة الدّعوة الإسلاميّة؛ فلها منّا على هذا الصّنيع، أمينًا وموظفّين، أجزل الشّكر والعرفان، واللهَ أسأل أن يجزي الأمين العام السّابق للجمعيّة، الأستاذ الدكتور محمد أحمد الشريف ومعاونيه خير الجزاء على ما قدّموه لأبناء الأمّة الإسلاميّة من خدمات إنسانيّة جليلة.

ولكليّة الدّعوة الإسلاميّة التي احتضنتني طالبًا وخرّجتني باحثًا، عميدًا وإداريّين، جزيل الشّكر وعظيم الامتنان؛ اعترافا بالجميل الذي أسدوه إليّ، من توفير الجوّ الملائم للتّحصيل؛ فجزى الله عميدها السّابق الدّكتور محمدّ فتح الله الزّيادي وسلفه الدكتور مختار ديرة ومسجّل الكليّة عليّ البصري، خيراً على ما بذلوه من جهودٍ، خدمة لطلاب العلم والمعرفة. والشّكرَ كذلك نسديه جزيلاً إلى رئيس قسم الدّراسات العليا السّابق، الدّكتور مسعود عبد الله الوازني، ومسجّله الأستاذ سعيد حديدان، سائلا المولى عزّ وجلّ أن يسدّد خطاهما وأنّ يوفّقهما لما يحبّه ويرضاه.

وللمشرف على هذه الرّسالة، أستاذنا الدّكتور محمّد خليفة الأسود، فائق الشّكر وعميق التّقدير على تكرّمه بالإشراف على هذا البحث ومتابعته إياه منذ أن كان فكرة بحثية، إلى أن صار خطة، إلى أن خرج إلى حيّز الوجود؛ وما كان لهذا البحث أن يكون على ما هو عليه لو لا فضل الله عزّ وجلّ ثمّ نصحه وتوجيهاته الرّشيدة؛ فله منّا الشكر والتقدير على رعايته الكريمة والمخلصة لهذا البحث خطوة خطوة، وعلى تواضعه وحسن تعامله معنا طيلة هذه الرّحلة العلميّة، والله المسؤول أن يجزيه خير الجزاء وأن يسدّد خطاه، إنّه لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

---

(1). سورة إبراهيم، الآية 7.

(2) . الجامع الصّحيح سنن التّرمذي، الإمام محمّد بن عيسى التّرمذي السّلمي، تح: أحمد محمّد شاكر وآخرون، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت. لبنان، ج: 4، ص: 339، الحديث رقم 1877.

وللأستاذين الكريمين، الدّكتور محمّد منصف القماطي والدّكتور محمّد امحمّد عثمان بن طاهر، اللّذين تحمّلا عبء قراءة هذا البحث ومسؤولية تقويمه مع ما في ذلك من العناء والمشقة، وافر الشّكر والتّقدير على ما أبدياه من ملاحظات قيّمة من شأنها أن تقرّب البحث نحو النّضج والكمال.

ولا يفوتنا أن نتقدّم بوافر الشّكر وعظيم التّقدير إلى كلّ من مدّ إلينا يد العون ماديًّا أو معنويًا في سبيل إنجاز هذا البحث وإخراجه على هذه الصّورة، وبالتّحديد أولئك الذين زوّدونا بمصادره الرّئيسة وأولئك الذين قرؤوا لنا فصوله، سائلين المولى عزّ وجلّ أن يسدّد لكلٍّ خطاه ويجعل النّجاح حليفه، وأن يمنّ على ليبيا بالأمن والاستقرار.

على أنّ ما كان في هذا العمل من الصّواب فبتوفيق من الله، ثمّ بفضل إرشادات المشرف. وما كان فيه من زلات وهفوات فمنّا بغير إهمال ولا تهاون؛ ومعذرةً على ذلك، فإنّ لكلّ جواد كبوة، ولكلّ صارم نبوة، ولكل عالم هفوة، ولكلّ باحث زلة، والكمال لله وحده. وحسبي أنّي بذلت من الجهد قدر الاستطاعة. وختامًا نسأل الله المزيد من التّوفيق والسّداد، وأن يجعل عملنا هذا خالصًا لوجهه الكريم، إنّه سميع قريب مجيب الدّعوات.

وما توفيقي إلاّ بالله، عليه توكّلت وإليه أنيب.

الباحث/ هارونسوادُغو.